سياسية ثقافية نصف شهرية مستقلة |السنة الثالثة |العدد 106|18 | نيسان 2015
www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com

زيتون

دين الطغاة

(أنتم دعاة الحريّة والديموقراطيّة والدولة المدنيّة جرّبناكم ولم نرَ منكم إلّا الدمار والخراب والفقر والاستبداد) كثيراً ما أقرأ هذه العبارات وغالباً ما يكتبها بعض المتأسلمين سياسيّاً ظنّاً منهم أنّها عين الحقيقة وأنّها ستفقأ عيون دعاة الدولةالمدنيّة.

والفهلويّ الذي يروّج لهكذا خطاب،امّا أن يكون غبيّاً بالمعنى السياسيّ والاجتماعيّ بغضّ النظر عن مستواه التعليميّ أو أن يكون مزوّراً لحقائق التاريخ والواقع، لأنّها وعلى ما يبدو مازال يرى الأمور مشوّهة، فهو لم يستطع بعد أن ينزع (الطمّاشة) التي وضعها الاستبداد خلال عقوده الطويلة على عقله وفكره ليعيد قراءة الوقائع كما هي، دون تشويه وتزوير، فإن كان هذا أو ذاك غباء أو تغابياً.

فمنهم الذين تدّعي حضرتك أنّك جرّبتهم فكلّ متتبع محايد للمشهد السياسيّ في سورية قبل الثورة، يدرك أنّنا جميعاً قوميّين وإسلاميّين وليبراليّين وكلّ أطياف المجتمع السوريّ السياسيّ والاجتماعيّ، لم تجرّب إلّا عصابة مستبدّة وطاغيةليسرلهدين.

فدين الطغاة هو الطغيان وهدفهم الأوحد هو السلطة، والسلطة فقط بأيّ طريقة كانت، وقد ارتكزت على تحقيق هذا الهدف على كلّ من باع ضميره وذمّته للشيطان بغضّ النظر عن أيّ شيءآخر.

فقد استفادت عصابة الطغيان في سورية من القومجيّين والعروبيّين بخداعهم بكذبة إدعائها المقاومة والممانعة وكذلك من دعاة الدولة المدنيّة بتسويق سلطتها كسلطة علمانيّة وديموقراطيّة، وأكثر ما استفادت عصابة الطغاة ممّن يدعون أنّهم رجالات دين، وذلك ببناء عدد كبير من المساجد وتوليها الأشراف على مدارس شرعيّة وتكمن استفادة السلطة من دعاة الفكر الدينيّ الإسلامويّ لمن يدّعون أنّهم يمثّلون هذا الفكر، دين من تأثّر على عواطف ومشاعر البسطاء والسذّج، وهم يمثّلون الغالبية العظمى من جمهورالمجتمع، ألم يكن رجال الدين راضين أو مكرهين يدعون للقائد المفدّى بعد خطبة كلّ جمعة؟،ألم تكن وزارة الأوقاف عبارة عن مؤسّسه تابعة للسلطة وتأتمر بأوامرها؟ألم يبكي فيما كان يُطلق عليه العلّامة (محمّد رمضان البوطيّ) ويبكي معه ملايّين السّذج من السوريّين على وفاة الطاغية وولده، ثمّ ماذا عن مَن مازال وإلى الآن يفتي للقتلة والطغاة (أحمد حسون) وآخر ما قاله منذ أيّام قليلة على مدرج جامعة دمشق (إذا كان الارهابيّون والتكفيريّون يهتفون قائدنا إلى الأبد سيّدنا محمّد فأنا - والكلام لحسون – أقول: قائدنا إلى الأبد بشّارالأسد) وعليه فنحن جميعاً لم نجرّب، بل كنّا المجرّب بهم وعليهم، وفعلاً استطاعت عصابات القتلة أن تثبت هيمنتها باعتمادها على كلّ مَنقبِلأنيلعقفتاتموائدها.

ومن يريد أن يأخذ الخطاب في نفس السياق يستطيع القول: نحن كذلك جرّبناكم، فكلّ تجارب الإسلام السياسيّ المتطرّف إلى الآن هي تجارب مثال للفشل، فهاهي الصومال وأفغانستان وتجربة القاعدة في العراق وفي مناطق أخرى وإلى الآن لم ينجح الإسلام المتطرّف في بناء(دولة إسلاميّة) ولاحتّى شبه دولةيعتدّبها.

وعلى العكس من ذلك وإذا لم نشأ الذهاب بعيداً واستحضار تجارب دول مدنيّة ديموقراطيّة على النموذج الغربيّ، فلنا في الدول المسلمة تركيا وماليزيا نموذجاً يمكن الركون إليه، فهذه الدول استطاعت وبفترة قياسيّة إذا ما قيست بعمر الدول أن تبني دولاً يعتدّ بها على كافّة الصعد الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة، وتصبح دولاً قوية يحسب لها حساب في المشهد السياسيّ الدوليّ.

ليست الغاية قدحاً أو ذمّاً أو كيل مديح لطرف دون آخر، وإنّما الشيء بالشيء يُذكر، فكما لا يمكن أن نحتسب "داعش" وأغلب ممارسات الفكر الدينيّ المتطرّف على الإسلام، كذلك لا يمكن أن نحتسب الطغاة ونهجهم القمعيّ والاستبداديّ على المطالبين بدولة مدنيّة، وإذا ما قيل هذا سيقال ذاك.

سلمية: القصة السورية.. تحالف الأسد والبغدادي

اتفاق مبادئ قد حصل

تجعلونه لكم أم عليكم؟

رسالة فرح غير منتهية

«المسرح يجب أن يكون أداة قويّة من أجل الحبّ والسلم والسلام والتعايش الحرّ»

ادفنوني واقفا

بالتأكيد أنا الطارئ في هذا المكان فكلّ مكوّناته لا تمتّ بصلة لما هو كائن هنالك حيث روحي في مكاني الأوّل.

صورة الغلاف بعدسة اياد جرود

سلاح الجو السوري
وفاعليته -بوقف -تقدم -المعارضة

محمد علاء

بعد بدء خروج المناطق المناطق الثائرة في سورية عن سيطرة النظام، وعجزه عن تحقيق أي تقدم من خلال عملياته البرية، بدأ النظام السوري بالاعتماد على سلاح الجو في قصف المدن والبلدات لوقف تقدم المعارضة وإجبارها على الانسحاب والتراجع باتباعه «سياسة الأرض المحروقة»، وما لهذا السلاح من قدرة على ضرب الحاضنة الشعبية لمقاتلي الجيش الحر الذين اخذوا على عاتقهم مهمة الدفاع عن المناطق المنتفضة، كما ساهم سلاح الجو مؤخرا بالحفاظ على مناطق استراتيجية لقوات النظام في حلب، مثل مبنى المخابرات الجوية في حي جمعية الزهراء غرب حلب، عندما منع سلاح الجو قوات المعارضة من التقدم والسيطرة عليه بعد انسحاب قوات النظام منه، وفي معسكر المسطومة عندما أعاق تقدم قوات المعارضة باتجاه المعسكر، مخلفاً عدد من الشهداء والجرحى في صفوفهم.

أحد الطيارين المنشقين عن النظام ذكر لـ زيتون أن سلاح الجو لدى النظام يعاني من مشاكل كثيرة، أبرزها: قلة خبرة الطيارين الغير مؤهلين لقيادة الطائرات، فضلا عن حالة عدم الثقة التي كان نتيجتها استبعاد الكثير منهم مخافة أن ينقلبوا عليه.

ولكن ما سهل الامر علي الطيارين هو عدم امتلاك المعارضة لسلاح دفاع جوي فعال مما جعل الطيران قوة ضاربة وعدم وجود اهداف دقيقة وحقيقية لقصفها، أضف الى ذلك عدم مبالاة النظام فيما لو حققت تلك الضربات أهداف حقيقية أو قامت باستهداف المدنيين.

ولفت المصدر أن جميع الطائرات المستخدمة لا تمتلك مؤهلات لإصابة أهداف دقيقة، وهي دائما تحمل قنابل جو – أرض

مهمتها أن تخلف أكبر دمار ممكن في موقع انفجارها، مثل قنابل الـ OFAB وقنابل عنقودية من نوع RBK500 المحرمة دوليا.

وكان العمل المستمر لتلك الطائرات منذ أربع سنوات حتى الآن، قد سبب لها أعطال فنية كثيرة، في ظل النقص الحاد بقطع الغيار، عدا عن التكلفة الباهظة للطلعات الجوية التي يصل عددها بعض الأيام الى اكثر من 40 طلعة، ما جعل الضباط المسؤولين عن الصيانة عاجزين عن اصلاح هذه الأعطال وخروج عدد كبير منها عن الخدمة، وراينا نتائج ذلك بسقوط الطائرات ضمن مهماتها بسبب الأعطال الفنية، وكان أخرها محيط بلدة دير سنبل بريف ادلب في 22 من اذار العام الحالي.

بالمقابل كل هذه الصعوبات التي يعانى منها سلاح الجو، لم تجعله بتأثر أبدا بل حافظ على مساندته لقوات النظام البرية، فقام بقصف مناطق سيطرة المعارضة، ولو امتلك الجيش الحر عشرات الصواريخ المضادة للطيران، لكانت نجحت بتحييد سلاح الجو عن المعارك بشكل نهائي، فطائرات النظام التي تستطيع التحليق لا تتجاوز أعدادها 40 طائرة حربية.

كما تعتبر الطائرات المروحية أكثر الأسلحة فتكاً لقدرتها على حمل براميل متفجرة وتحليقها على علو شاهق تجنبا لنيران الرشاشات الثقيلة، وتقوم بإلقاء براميل متفجرة يصل وزنها أحياناً حتى 500 كيلو غرام.

وتعتبر فكرة إلقاء البرميل من الطائرة، فكرة روسية المنشأ، وتُستخدم أصلاً في حالة الحروب الكبرى بين الدول، والتي تسعى إحداهما إلى تدمير الأخرى ما استطاعت، وهي محرّمة في المناطق المأهولة.

مدينة حلب من أكثر المناطق استهدافا بالبراميل، فهي قريبة من معامل الدفاع قرب مدينة السفيرة جنوب شرق حلب.

وقد عمد النظام في الفترة الأخيرة الى توسيع القاعد الجوية الخاصة بالطائرات المروحية على جبال الواحة قرب معامل الدفاع، لتصبح أكبر قاعدة انطلاق للطائرات التي تقصف مناطق واسعة من شمال سوريا بالبراميل، كما تم تزويد هذه القاعدة بسربين إضافيين من الطائرات المروحية من طراز (مي – 17-8) وهي طائرات قديمة، لكنها تستطيع ان تحمل 6 براميل متفجرة دفعة واحد، كما يوجد سرب منها في مطار حماة العسكري الذي تنطلق منه الطائرات لقصف مناطق في ريف حماة وريف إدلب، وتزود بالبراميل من معامل الدفاع بحماة.

بينما تتولى قصف المناطق في جنوب سوريا، طائرات حديثة من نوع (مي 28-) والتي يمتلك النظام 10 طائرات منها، وطائرات كازيل أيضا، وتنطلق من مطار المزة جنوب دمشق، وتستطيع حمل برميلين متفجرين، وعدد من الصواريخ نوع S-13.

وقد قامت الطائرات المروحية، بقصف مناطق متفرقة من الأراضي السورية، ببراميل تحمل مواد كيماوية، كان آخرها في سرمين بريف ادلب، راح ضحيتها 5 شهداء من عائلة واحدة في شهر اذار من العام الحالي.

سلاح الجو قبل الثورة كان يتألف من 500 طائرة حربية، و150 طائرة مروحية، معظمها قديمة وليس بمقدورها الدخول بمعارك ضد جيوش نظامية، بسبب عدم جاهزيتها الفنية. وبحسب بعض المصادر المطلعة أن أكثر من 50٪ من سلاح الجو أصبح خارج الخدمة، إما لعدم توفر قطع الغيار، أو لخسارة عدد من المطارات والطائرات في معارك مع المعارضة، التي تسيطر على مطاري منغ بحلب ومرج السلطان بريف دمشق، وتحاصر خمسة مطارات أخرى، بينما يسيطر تنظيم الدولة على مطاري الطبقة بالرقة والجراح بحلب ، ويحاصر اثنين من أكبر المطارات، مطار كويرس شرق حلب، ومطار دير الزور في دير الزور.

وبهدف وضع حد لاستهداف المدنيين وحمايتهم من القصف العشوائي، أصدر مجلس الأمن الدولي في 22 من شباط 2014 القرار 2319 القاضي بإيقاف الاستخدام العشوائي للأسلحة في المناطق المكتظة بالسكان، ووقف الهجمات ضد المدنيين ووقف القصف الجوي والمدفعي واستخدام البراميل المتفجرة، وثبت مقتل وجرح أكثر من 30 ألف مواطن وحتى تاريخ 21 شهر شباط/فبراير من العام 2015 جراء قصف طائرات النظام الحربية والمروحية على عدة مناطق سورية، والتي أثبتت فشل المجتمع الدولي في حماية المدنيين من الإبادة التي يتعرضون لها.

ووثق مقتل 5812 مواطناً مدنياً، بينهم 1733 طفلاً دون سن الـ 18، و969 مواطنة فوق سن الثامنة عشر، و3110 رجال،

جراء القصف بالبراميل المتفجرة من قبل الطيران المروحي وقصف الطائرات الحربية، على عدة مناطق في قرى وبلدات ومدن، في محافظات دمشق وريف دمشق، حلب، حمص، حماة، إدلب، اللاذقية، حسكة، دير الزور، الرقة، القنيطرة ودرعا، كما أسفر القصف الجوي من قبل طائرات النظام عن إصابة أكثر من 25 ألف مواطن بجراح. منها عاهات دائمة خلال الفترة المذكورة، بسحب إحصائية للمرصد السوري لحقوق الانسان

توزع المطارات المدنية والعسكرية في سوريا

تتوزع المطارات المدنية والعسكرية في سوريا على الشكل الاتي:

أولاً: المطارات المدنية:

-1مطار دمشق الدولي -دمشق.

-2مطار حلب الدولي -حلب.

-3مطار اللاذقية الدولي -اللاذقية.

-4مطار القامشلي -الحسكة.

-5مطار دير الزور -دير الزور / الفرات.

-6مطار تدمر -تدمر. حمص

-7مطار طرطوس -مستحدث

ثانياً: المطارات العسكرية: وتقسم إلى قسمين:

أ-مطارات تحتوي على الطائرات المقاتلة (ميغ -سيخوي -فلامنجو التدريبية وL39 وغيرها من الأنواع) وهي:

-1مطار دمشق الدولي عسكري/ مدني ريف دمشق ويحوي سرب النقل العسكري طائرات اليوشن وطائرات اليك ويقع في ريف دمشق.

-2مطار السين عسكري وهو الأكبر والأضخم والأقوى والأهم ويحوي سرب ميغ 29 وسرب ميغ 23 ب ن وسرب سوخوي 24 ويقع في ريف دمشق.

-3مطار الضمير: عسكري ويلي مطار السين من حيث القوة والمساحة والأهمية ويحوي سرب ميغ 23 م ل وسرب ميغ 25 وسرب سوخوي 22 وفيه مقر الفرقة الجوية 20 ويقع أيضا في ريف دمشق.

-4مطار الشعيرات: عسكري ويلي مطار السين والضمير من حيث القوة والمساحة والأهمية ويحوي سرب ميغ 23 وسرب سوخوي 22م4 وسرب ميغ 21 قديما وفيه مقر الفرقة الجوية 22 ويقع في ريف حمص.

-5مطار التيفور T4: عسكري ويلي السين والضمير والشعيرات من حيث القوة والأهمية ويحوي سرب ميغ 25 وسرب سوخوي 24 وسرب سوخوي 22م4 ويقع بريف حمص.

-6مطار الناصرية: بجانب النبك ويحوي سرب ميغ 23 م ل مقاتلة (ريف دمشق).

-7مطار الضبعة: بجانب القصير ويحوي سرب ميغ 21 وقد تم افراغه وتنسيق معظم طائراته (حمص).

-8مطار دير الزور عسكري/ مدني يوجد فيه سرب ميغ 21 وميغ 23 ب ن مقاتلة قاذفة (دير الزور).

-9مطار الثعلة: وكان يحوي سرب ميغ 21 ثم تم نقل حوامات مي 25 اليه وبعدها تم افراغه من الطائرات الحربية ويحوي الآن على حوامات (السويداء).

-10مطار حماه: ويحوي سرب ميغ 21 ومركز صيانة حوامات مي 8-17(حماه).

-11مطار أبو الظهور: يحوي سرب ميغ 21 وسرب ميغ 23 م ل (ادلب).

-12مطار كويرس: ويحوي سرب طائرات تدريب L39 (ريف حلب).

-13مطار الطبقة: وكان يوجد فيه سربين ميغ 21 بالإضافة الى طائرات ميغ 23(الرقة).

-14مطار صقال عسكري (حمص).

-15مطار جبلة عسكري / مدني.

-16مطار حلب الدولي عسكري/مدني ويوجد فيه صيانة للطائرات ميغ 21 23-29- سوخوي 22 (حلب).

-17مطار القامشلي عسكري ومدني (الحسكة).

-18مطار تدمر عسكري تدمر (حمص).

-19مطار خلخلة يوجد فيه ثلاث أسراب ميغ 21 (السويداء).

-20مطار الجراح (كشيش): يحتوي على 12 حظيرة إسمنتية ومن بينهم 5 حظائر تحت الأرض وأغلب طائراته من نوع L39 التدريبية وطائرات ميغ 23 وطائرات MBB Flamingo 223 ويمتلك 50 منها ولديه مدرج رئيسي وأخر فرعي يمكن الاقلاع منه ويبعد عن حلب 71 كم شرق حلب.

-21مطار النيرب: وهو مركز لصيانة المقاتلات الحربية والحوامات مثل ميغ 23 وميغ 21 ومي 8 وغيرها (حلب).

-22 مطار القصير عسكري القصير (حمص).

-23مطار السويداء عسكري/مدني (السويداء).

-25مطار مرج رهيل عسكري (ريف دمشق).

-26مطار طياس عسكري طياس (حمص).

ب-مطارات عسكرية تضم حوامات فقط:

-1مطار المزة: عسكري حي المزة (دمشق) حوامات كازيل وحوامات ومي 8 -28

-2مطار بلي عسكري حوامات: وهو بالأصل مطار حربي يحوي سرب ميغ 23 م ل وسرب سوخوي 22م4 ثم تم نقل هذه الطائرات الى مطارات أخرى وتوزيعها وهو الأن مطار حوامات ويحوي سرب حوامات قتالية مي 25 المضادة للدروع (م د) (ريف دمشق).

-3مطار عقربا عسكري حوامات مي 8 17-(ريف دمشق).

-4مطار مرج السلطان عسكري مرج السلطان حوامات (ريف دمشق).

-5مطار تفتناز العسكري عسكري تفتناز كان يحوي حوامات مي 8 – مي 17(إدلب)

-6مطار منغ عسكري منغ (حلب) كان يحوي حوامات مي 8 – مي 17 –

-7 مطار حميميم عسكري حوامات (كا 25 كاموف) وسرب حوامات مي 14 وهي تابعة للقوات البحرية (اللاذقية).

-8مطار الثعلة عسكري حوامات (السويداء).

-9مطار الحمدان عسكري حوامات مستحدث (البو كمال).

سلمية: القصة السورية.. حلف الأسد والبغدادي

داليا معلوف

سلمية.. الدمعة التي ذرفها الرومان على أول أسير فك قيوده بأسنانه، ومات حنينا إليها، بهذه الكلمات وصفها أديبها محمد الماغوط قبل رحيله، ولم يكن يدري حينها أنها ستكون أسيرة دولتين لم تشهد البشرية مثل إجرامهما «دولة الأسد ودولة البغدادي».

لم تبدأ مدينة السلمية التي تقع شرق مدينة حماه، ثورتها بعد عام 2011 فالسلمية تملك تاريخا طويلا من معارضة النظام الحاكم، ومعظم سكانها مسيسون حزبيا ولديهم أفكار وعقائد سياسية تناقض تلك التي يقوم عليها نظام الأسد فكانت مركز تاريخيا للمعارضة السورية.

ومع اندلاع الثورة السورية لم تتأخر مدينة السلمية في اللحاق بركب الثورة بل شهدت ساحاتها مظاهرات يومية واسبوعية، تقدمها المثقفين و النخب السياسية في المدينة حيث خرجت أول مظاهرة في الرابع والعشرين من شهر مارس آذار 2011، ونشأ فيها الحراك السلمي الثوري، وأسست التنسيقيات الثورية التي لا تزال قائمة فيها حتى اللحظة.

وكغيرها من المدن السورية لم تبخل السلمية في تقديم عشرات الشهداء و مئات المعتقلين، وكونها تعتبر نموذجا فريدا للعيش المشترك بين طوائف الشعب السوري فسكانها متعددي المذاهب والملل وشكلوا بانتماءاتهم الدينية و الفكرية المختلفة لوحة فسيفسائية جميلة أضفت على المدينة طابعا مميزا سعى النظام الى كسبها إلى صفه فلم يكن لديه سبيل الى ذلك إلا بقمعها و تعريض سكانها الى العقاب الجماعي بقطع الخدمات عنها من ماء و كهرباء و شح المحروقات و ضعف الاتصالات و فصل عدد كبير من موظفيها و قام بحصارها عسكريا بخط دفاعي عسكري حصين يصل بين تل جديد والسعن بامتداد 40 كلم دعمته وحدات الهندسة في الجيش بالسواتر الترابية والألغام والخنادق.

حلف الأسد والبغدادي:

لم تنجح سياسة القبضة الحديدة في إخراج المدينة عن خارطة الحراك الثوري وتجلى ذلك برفض شبان المدينة الالتحاق بالخدمة الإلزامية في صفوف القوات النظامية ففي السلمية قرابة 18 ألف مطلوب للخدمة الإلزامية و الاحتياطية وتقوم الأفرع الأمنية في المدينة بشكل شبه يومي بحملات مداهمة بحثا عن مطلوبين للخدمة العسكرية.

وبما أن كل تلك الإجراءات القمعية لم تنجح في إعادة المدينة إلى الطاعة لجأ نظام البعث إلى سياسة الترهيب من خطر داعش فقام بشكل تدريجي بسحب خطوط الدفاع عن المدينة وفي مقدمتها كتيبة المدفعية في قرية بري الشرقي التي كانت تعتبر خط الدفاع الأول عن المدينة بوجه تمدد تنظيم داعش عمد النظام إلى إخلائها بشكل شبه كامل في شهر حزيران من العام 13 20، واستبدل القوة الكبيرة الموجودة فيها بقوات محدودة القدرات لا تستطيع الصمود طويلا في حال مهاجمة الكتيبة.

ومع عجز النظام عن تطويع المدينة ، وتراجع قدراته العسكرية ، و انشغاله بالمعارك الدائرة في باقي أرياف المحافظة ، وتنامي قوة تنظيم داعش وعجزه عن مجابهته في كثير من المعارك ، وخسائره البشرية الكبيرة في المعارك ضد التنظيم ، واستمرار شبان المدينة في رفض الانخراط في صفوف قواته ، كل هذه العوامل دفعت النظام إلى التخلي عن المدينة بشكل تدريجي ، حيث ومن وجهة نظر النظام ، لم تعد السلمية ذات أهمية إستراتيجية ، وعلى أبنائها الدفاع عنها.

تنظيم الدولة الإسلامية أو داعش ، لا يبعد كثيرا عن المدينة ، فأقرب تواجد له لا يزيد عن 15 كم ، هذه المسافة القريبة مكنت داعش من استهداف المدينة بالقذائف الصاروخية ، وخلفت قتلى وجرحى من المدنيين ، معظم هذه القذائف الصاروخية استهدفت التجمعات السكنية في المدينة و الأسواق لم تكن فقط النقاط العسكرية لقوات هي الهدف لداعش ، وإنما المدينة عموما ، بأحيائها ، وسكانها.

قرية المبعوجة التابعة لمدينة السلمية والتي انتشر أسمها بعد قيام تنظيم داعش بمجزرة مروعة فيها في 30 آذار الماضي كان النظام شريكا وراح ضحيتها ما يزيد عن 55 مدنيا بينهم نساء و أطفال ذبحا و حرقا و إعداما بالرصاص وخطفت حوالي 75 آخرين مازال مصيرهم مجهول حتى اللحظة و استكمل النظام جريمة داعش بقصفه العشوائي للقرية فخلف حوالي عشرة قتلى تحت الأنقاض.

بتاريخ 20/شباط/ 2015 ، استهدف تنظيم داعش المدينة ب 5 صواريخ غراد ، سقطت معظمها بين منازل المدنيين ، ونتج عنها قتلى ومصابين وبتاريخ 6/نيسان /2015 ، استهدف التنظيم أيضا المدينة بأربع صواريخ غراد ، سقطت معظمها بين منازل المدنيين وتسببت بمقتل 6مدنيين وجرح 16 آخرين.

لم يقف تنظيم داعش عند هذا الحد ، بل جعلت من الطرقات المؤدية إلى المدينة مصائد موت لسكان المدينة ، فسيطرة تنظيم داعش على مساحات واسعة من الطريق الريفي الشرقي للمدينة ، والممتد من قرية بري الشرقي وحتى العقيربات ، وكذلك أيضا عدة طرقات واصلة بين ريف حمص الشمالي وريف حماه الشرقي ، وقيام التنظيم بنصب كمائن على هذه الطرقات تهدف إلى خطف أبناء المدينة و قتلهم ، حيث تسجل عمليات الخطف لأبناء المدينة بشكل اسبوعي تقريبا وحول هذا الموضوع أفاد (ث ، س) لجريدة زيتون وهو أحد أبناء مدينة السلمية والمقيمين فيها «إن الطرقات

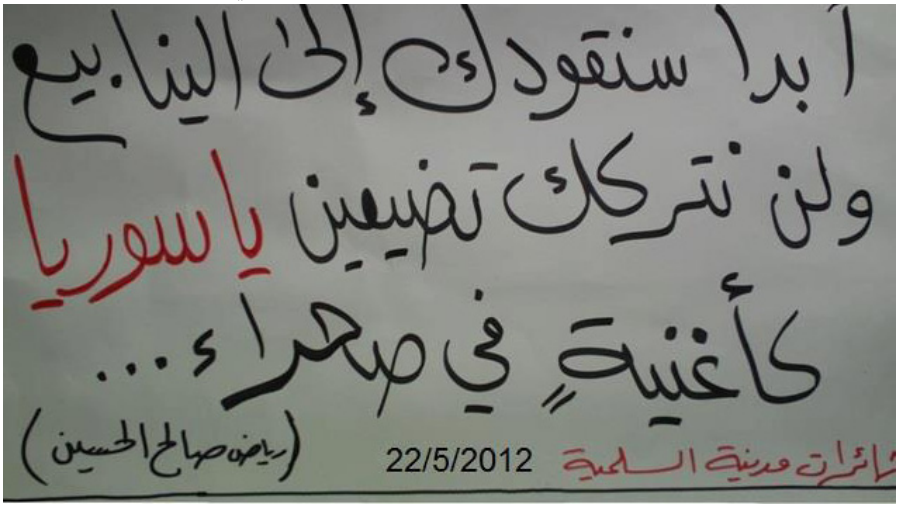

الريفية للمدينة محرمة علينا ، تنتشر على هذه الطرقات عمليات الخطف و القتل بشكل متكرر ، حياتنا اليومية تحتم علينا المرور من هذه الطرقات ، والبعض منا يمتلك أراضي زراعية في تلك المناطق و عليه رعايتها ، نحن جميعا لا نستطيع الخروج كثيرا من المدينة ، فداعش يتربص بنا»

ولكي تصبغ المعاناة بالطائفية أيضا ، بدأت ظاهرة خطف أبنائها المتواجدين في الشمال السوري المحرر ، حيث تسيطر على الشمال قوى متعددة الانتماءات ، لا يروق لبعضها وجود مواطنين من الطائفة الإسماعيلية في مناطق سيطرتهم ،

ويعد الشمال هو الطريق الوحيد المتاح لشبان السلمية الملاحقين من قبل النظام وإغلاق هذا الطريق ، سيجعلهم أمام خيارات الاعتقال أو القتل على الجبهات، وفي هذا السياق ، سجلت عدة حالات خطف لمواطنين من مدينة السلمية في الشمال السوري ، وعثر على أربع جثث لمواطنين من مدينة السلمية في الأراضي الزراعية بالقرب من سرمدا ، كانت الجماعات المتشددة قد قامت بتصفيتهم ليلا بعد علمها بأنهم من الطائفة الإسماعيلية.

س.ش وهو أحد شبان مدينة سلمية قال لزيتون «أنا ملاحق من الأجهزة الأمنية في المدينة منذ شباط 2015 ، يريدون مني الالتحاق بالقطعات العسكرية ، وأنا أرفض ذلك ، أثرت الاختباء في منزل صديق لي ، أنتظر الأن أن يكون الطريق سالك ، أريد الذهاب إلى الشمال ومنه إلى تركيا ، حصلت مؤخرا حوادث قتل لعدد من أبناء مدينة السلمية في الشمال ، هذا الأمر مقلق جدا بالنسبة لنا ، فخياراتنا باتت محدودة جدا »

بات من الواضح ومن مجريات الأحداث على الأرض، وبعد استهداف تنظيم داعش لمدينة سلمية وريفها، أن النظام السوري يحاول استثمار هذه الأحداث لمصلحته، وذلك عبر محاولة إعادة تكرار تجربة سنجار والإيزيديين بنسخة سورية، في منطقة سلمية، التي تحتوي خليطاً مذهبياً متنوعاً ومسالماً يمثل الشعب السوري بغالبيته.

التأثير النفسي للحرب في سورية

هيا خيطو - العربي الجديد

ملقى على الأرض، ومصاب بثلاث رصاصات في رقبته وكتفه وفمه. ركلات عناصر قوات النظام المتجمّعين حوله، كانت الوحيدة التي توقظه وتنذره بأنّه لا يزال على قيد الحياة، كلّما فقد وعيه.

يمثّل أنه قد مات، ولحسن حظه لم يخطر على بال عناصر قوات النظام سحب جثته والتمثيل بها، مع أنهم ألقوا القبض عليه بالجرم المشهود، أثناء مشاركته في مظاهرة تنادي بالحرية في إحدى بلدات ريف إدلب مع بداية الثورة السورية. بعد ثلاث سنين من الحادثة، ألا زلت تذكرها؟ يجيب الشاب العشريني، والناشط الإعلامي من إدلب، شريف الشيخ، «طبعاً كل ما شوف إيدي المشلولة بتذكرها، حتى بوقت النوم، الكوابيس ما بتتركني بحالي».

شريف واحد من أصل مليون ونصف المليون سوري أصيبوا بجروح وإعاقات، وثّق معاناتهم المرصد السوري لحقوق الإنسان، إلى جانب مائتي ألف سوري قتلوا منذ بداية الثورة وحتى نهاية العام الماضي، بينما يوجد جانب آخر من المعاناة، صعب التوثيق، يتمثل في المعاناة النفسية التي أصيب بها معظم السوريين بدرجات متفاوتة، ابتداء من القلق وزحمة الكوابيس ووصولاً إلى الجنون، مروراً بالاكتئاب.

القلق

يُعرّف القلق بأنّه أحد الاضطرابات النفسية التي تختلف عن «الخوف»، لكونها تنشأ على إثر تهديد غير مباشر، يخلق شعوراً بعدم الارتياح والتوتر الدائم. على سبيل المثال، يخاف السوريون الذين يعيشون في المناطق الساخنة، من صوت البراميل المتفجرة، إلّا أن تكرار مشاهد القصف والقتل في كوابيسهم وهم ينامون خارج نطاق الخطر، هو ما يطلق عليه اضطراب القلق.

محمد، شاب في العشرينيات من عمره، لجأ إلى مدينة إسطنبول التركية، بعدما قضى أصدقاؤه في مجزرة لطيران النظام شمال سورية. يقطن أحمد حالياً بالقرب من مطار «أتاتورك الدولي»، ولا يمكنه أن يسمع صوت طائرة تقلع أو تهبط هناك، من دون أن يركض ويختبئ محتمياً بحائط أو طاولة. وهو ما يطلق عليه، بحسب ما أفاد الطبيب النفسي السوري، محمد دندل، لـ«العربي الجديد» بـ«اضطراب الشدّة ما بعد الصدمة» PTSD، أحد أعراض القلق، الذي يدفع الشخص إلى تذكّر الحادثة، عندما يصادف أياً من بوادرها، كأن يشمّ رائحة شمّها حينها مثلاً.

«كلّما أسمع صوت مفاتيح، أشعر بالخوف، وأتجمّد في مكاني، أتذكر بشاعة السجّان الذي كان يوصد باب الزنزانة التي قبعت فيها طوال شهرين بفرع الأمن العسكري في دمشق». تقول منى، صحافية سورية، مقيمة في مدينة غازي عنتاب التركية، لـ«العربي الجديد»، وتضيف ضاحكة: «منذ أسبوع، صادفت عنصراً من الأمن التركي (الجندرما) يرتدي زياً عسكرياً، تجمّدت في مكاني وكأن أحداً سكب عليّ سطل مياه باردة».

في سيناريو مشابه، تتسارع دقّات قلب لبنى، المقيمة في مصر، ولا تهدأ إلّا بعد عدّة ساعات كلّما دقّ أحدهم باب منزلها، وذلك لما يجلبه الصوت من تداعيات في ذاكرتها الممتلئة بحوادث الدهم التي كانت تشنّها عناصر قوات النظام على حيّها الكائن في مدينة حلب.

معظم من التقاهم «العربي الجديد» من السوريين البالغين، للبحث عن التأثيرات السلبية للحرب على نفسيّتهم، قالوا إنّ «الكوابيس لا تفارقهم ليلة واحدة، فمنهم من يرى الطيران يقصف منطقته، ومنهم من يرى قوات النظام تلاحقه لتعتقله، في حين أكّدت فئة ثالثة أن (داعش) يحتلّ مناماتها، وهو يطاردها ويقطّع الرؤوس. آخرون استغربوا من كونهم يستيقظون من نومهم باكين، من دون أن يتذكروا شيئاً من الممكن أنهم قد رأوه في مناماتهم المقطّعة والموصّلة».

الكوابيس تعتبر إلى جانب اضطراب «الشدة ما بعد الصدمة» من أهم أعراض القلق، بالإضافة إلى عرض من نوع آخر يدعى «اضطراب التكيّف»، رافق معظم السوريين الذين انتقلوا فجأة من بيئة إلى بيئة أخرى مختلفة تماماً، وهو يعني، بحسب التعريفات المتداولة عنه: صعوبة مواجهة الشخص للحياة بشكلها الجديد، بعد تعرّضه لصدمة فقدان أحد الأقرباء منه، أو فقدان منزله.

غالباً ما يظهر اضطراب التكيّف من خلال عدم القدرة على مزاولة العمل، والانعزال عن المحيط، والشعور بالحزن. وبحسب دراسات، فإنّ استمرار عدم التكيّف عند الشخص لما يزيد عن ستة أشهر، أمر

يستدعي زيارة طبيب نفسي للمعالجة.

السوريون فقدوا منازلهم وأهلهم وأقرباءهم ووطنهم، ووجدوا أنفسهم فجأة لاجئين في بلاد لا تشبههم. أحمد، شاب من مدينة الزبداني في ريف دمشق، سافر إلى لبنان مشياً عبر الجبال، بطريقة غير شرعية متحدياً الموت، لينطلق ثانية من هناك إلى تركيا، ومنها عبر زورق في البحر إلى ألمانيا، ليجد نفسه هناك غير قادر على التأقلم أو الانسجام، وعاد إلى مدينته.

أصدقاء أحمد بالكاد توقفوا عن الضحك حينما قال لهم «أنا مع العرب ما كنت عم بقدر أتفاهم لحتى أتفاهم مع الأجانب، الموت أحسنلي».

الاكتئاب

عادة ما تصاب فئة من المجتمع، تتراوح نسبتها بين 20 و30 في المائة في سائر بلدان العالم، باضطراب الاكتئاب، الذي يتجسد في خليط من المشاعر الحزينة، وفقدان الأمل والمتعة في الحياة. ويحلّ ذلك المرض بمن فقد عزيزاً، أو مرّ بظروف معيشية صعبة، أو ينتج عن اختلال هرموني، كاكتئاب ما بعد الولادة مثلاً، في وقت تُضاعف فيه الكوارث والحروب من ضحايا الاكتئاب، كما أنّها تزيد من دواعيه، لتجعله يتطوّر إلى «حادّ»، ويدفع صاحبة إلى الانتحار أحياناً.

«كنت لا أستطيع النوم من شدة الجوع، أحمل صحناً فارغاً، وأدور به على بيوت الجيران في حي الخالدية المحاصر بمدينة حمص، أذكر يومها أنّي حصّلت خمس زيتونات بعد جهد جهيد. بصراحة لم يدفعني إلى مغادرة حمص سوى الجوع، بالرغم من كل المجازر التي رأيتها بأم عيني». يقول رامي، شاب في الثامنة والعشرين من عمره، لـ«العربي الجديد»، موضحاً أنّ ما عاناه في حمص سابقاً، قلبه اليوم رأساً على عقب، فلم يعد رامي الاجتماعي، ولا رامي الهادئ، بل تحوّل إلى شخص عصبي ومنعزل يعيش في إسطنبول، لا يقدر على النوم، ولا يأكل بشهية.

رامي يعرف تماماً أنّه يعاني من الاكتئاب، يحاول في إحدى المرّات الخروج من المنزل والاستجابة لدعوة أصدقائه على العشاء، يتجنّب خلال لقائه معهم التحدّث عن أي شيء له علاقة بحمص، ويمضي وقتاً مسلياً، ولكن ما إن يعود إلى المنزل، حتى يعتصر قلبه حزناً، ويشعر بالذنب، فكيف له أن يأكل ويضحك، وأقاربه لا زالوا في الداخل تحت وطأة الحصار والقصف. يقضي رامي بقية ليلته باكياً، ويحاول مجدداً الحصول على قسط من النوم.

على عكس رامي، تنام ليلى، لاجئة من ريف دمشق في بلدة برلياس بلبنان، 15 ساعة في اليوم، فالنوم هو الوسيلة الوحيدة، على حد وصفها، «للهروب من الواقع، وإن عانت من الكوابيس، فالأخيرة تظلّ أفضل من التفكير في عائلتها المحاصرة وراء الحدود، وأمّها الستينية المعتقلة في سجون النظام».

يشرح الطبيب النفسي، محمد دندل، أبرز أعراض مرض الاكتئاب المنتشر بين السوريين اليوم قائلا «اضطراب النوم، اضطراب الشهية، الشعور بالذنب، فقدان التركيز، وفقدان الطاقة للقيام بأي نشاط، حتى وإن كان للتواصل مع الناس، هي من أبرز أعراض الاكتئاب وأكثرها انتشاراً عند السوريين حالياً»، مشيراً إلى أنّ «استمرار ظهور خمسة من أعراض الاكتئاب، إلى جانب فقدان المتعة لمدة أسبوعين، مرض يستدعي العلاج».

أعراض الاكتئاب

انتشرت إلى حد كبير، خلال الحرب في سورية، نسبة المشاكل التي وقعت بين الأفراد أو الأزواج أو العائلات، فسّرها البعض بأنها جاءت نتيجة اضطرار عدة عائلات في بعض الأحيان إلى النزوح والسكن في بيت واحد، بالإضافة إلى «زيادة الحساسية عند الأفراد، أي العصبية، والانزعاج لأمور لا تحظى بأهمية»، وهذا ما أضافه الطبيب محمد إلى أعراض الاكتئاب السابقة.

يؤدي الاكتئاب بصاحبه إلى الانتحار، الأمر الذي حصل مع عدّة سوريين في الفترة الأخيرة، وهو أكثر ما لفت الأنظار إلى أهمية العلاج النفسي، وتدارك الحالة قبل تطورها. ووفقاً لإخصائية في علم النفس، رفضت الكشف عن اسمها «فإنّ كثيراً من أهالي المرضى، لا يكونون واعين بخطورة حالة أبنائهم، ولا يفكرون أصلاً في أن الأمراض النفسية تحتاج إلى علاج، إلى أن يتفاجأوا بانتحارهم. ومن هنا يتوجب العمل طيلة الوقت، لتوعية المجتمع السوري بضرورة العلاج النفسي، والسعي إلى تأمين كوادر معالجة نفسية لضحايا الحرب».

الجنون

«أخافتنا تصرّفاته، بعدما ظننا أنّه يمزح في البداية، فمرة يقول لنا إنّه النبيّ محمد، ومرة أخرى الأعور الدجّال، إلى أن صار يصرخ بشكل جنوني، ويقول (أخرجوه من هنا.. إنه الشيطان) مشيراً بإصبعه إلى صديق آخر لنا»، بهذه الكلمات يحكي عبدالرحمن- شاب يقطن مع مجموعة من أصدقائه السوريين منزلاً في حي الفاتح بإسطنبول- قصة الشاب عدنان الذي انضم مجدداً إليهم بعد هربه من سورية.

ويكمل عبدالرحمن قائلا لـ«العربي الجديد»: «عدنان ظلّ على هذه الحالة أكثر من أسبوع، كان يوقظنا صراخه كل ليلة. قررنا في النهاية الاتصال بأحد أقربائه، الذي قدم إلينا وأخذه».

بعد التقصّي عن حالة الشاب عدنان، تبيّن لنا أنه من بلدة رنكوس الصغيرة في جبال القلمون بريف دمشق، قضت والدته بقذيفة أمام عينيه، وعانى الأمرّين حتى وصل إلى تركيا، وعلى ما يبدو فإنّ ما مرّ به أدخله في حالة «ذهان» بحسب معالجه النفسي، الذي أوضح أنّ «الذهان، أو ما يدعى بالخلل العقلي، يصيب 1 في المائة من الأشخاص، الذين تعرضّوا لحالة من الاكتئاب الشديد، أو الحوادث المروّعة، أو أنّهم يعانون من الفصام والتوتر الاجتماعي».

يعد عدنان الحالة الوحيدة التي وثقتها كاتبة التحقيق للمصابين بـ«الذهان»، لكن الظروف الصعبة التي عايشها تنطبق على آلاف السوريين، ما يرجّح تواجد مصابين آخرين بالمرض ذاته داخل وخارج سورية.

نعمة النسيان

تحاول فئة من السوريين، ممن يعيشون حالياً خارج نطاق الحرب، تناسي كل ما مرّ عليهم من مصاعب، متخذين من ذلك آلية دفاعية ضد إصابتهم باضطرابات نفسية. في حين يجد البعض أن هذه الآلية من أبرز أعراض هذه الاضطرابات.

تؤكد لمى، ناشطة إعلامية، لاجئة في لبنان، لـ«العربي الجديد»: «أنّها تتجنّب تذكّر أي شيء عانته عندما كانت في ريف دمشق، من قصف أو جوع أو حصار، لدرجة باتت فيها لا تتذكر فعلاً أسماء أشخاص عاشت معهم هناك طوال سنوات»، مشيرة إلى أنّ التذكر وحده يعني لها الجنون.

كثيرون وافقوا لمى، وأكّدوا أنهم يتبعون سياسة التناسي، حتى يبدأوا حياة جديدة، في وقت لم يتمكّن فيه آخرون من ذلك، خاصة أولئك الذين أصيبوا بعاهات دائمة نتيجة جروح أصيبوا بها.

الفرضية العلمية تحتّم زوال النتيجة مع زوال المسبب لها، ففي حال افترضنا أن الحرب السورية قد وضعت أوزارها، فهذا يعني أن الاضطرابات النفسية عند السوريين يجب أن تختفي، الأمر الذي لم توافق عليه أخصائية علم النفس، في حديثها لـ«العربي الجديد»، موضّحة أنّ «الإنسان كتلة من المشاعر والأحاسيس، التي تراكمها البيئة التي عاش فيها، والظروف التي مرّ بها. من المؤكد أن انتهاء الحرب يخفف من أعراض الاضطرابات النفسية، إلّا أنه لا يخفيها تماماً، ومن الممكن أن تستمر سنوات، تاركة أثرها الخاص في بناء الشخصية».

ما الذي جعل أغلبية شيوخ العشائر

يقفون إلى جانب نظام الأسد ؟

تركي المصطفى

شكلت العشائر جزءا أصيلا من المجتمع السوري، وقبل محاولة رسم الصورة العشائرية في المشهد الثوري السوري، وكمدخل للوصول إلى هذه الغاية لا بدّ من الإجابة على سؤال:

ما الذي جعل أغلبية شيوخ العشائر، يقفون إلى جانب نظام الأسد، ويعلنون الحرب على الثورة السلمية منذ أيامها الأولى؟

فالمناطق ذات الطابع العشائري، ظلّت هادئة في السنة الأولى من الثورة، ولم تنخرط في الحراك الثوري، وإن خرجت بعض المظاهرات هنا وهناك فإنها سرعان ما تخبو.

وحاول نشطاء العشائر جهدهم اقناع شيوخ العشائر بالانضمام للثورة وأطلقوا جمعة أسموها (جمعة العشائر) في السنة الاولى من الثورة، لكن ردّ شيوخ العشائر جاء على شكل «تجمع ملتقى شيوخ العشائر في الرقة،والحسكة وحماه»، أعلنوا فيه مبايعة بشارالأسد والولاء المطلق له، وبقي نظام الأسد يعتبر تلك المناطق تخضع لسيطرته لوجود ممثليه من شيوخ العشائر المرتبطين به.

كان النظام قد اشتغل على الوتر العشائري منذ تولى حافظ أسد السلطة، وركز بشكل أساسي على شيوخ العشائر، والمعروف أن المشيخة تستوجب شروطا، كالأصالة التاريخية والكرم والشجاعة والأكثرهم أقرباء في العشيرة، والأقدرهم على حل مشاكل عشيرته الداخلية والخارجية، لكن الكثير من العائلات العريقة فقدت بريقها لأسباب قهرية منها السياسي والمادي والشخصي، فانتقل مركز التأثير عند بعض العشائر فجأة إلى أشخاص نتيجة علاقتهم مع سلطة نظام الأسد، الذي لعب على وتر التناقضات حتى في العائلة الواحدة، وربط مصيرهم به، ومنحهم أعطيات ومراكز نافذة في الحكومة والإدارة، فقد نال قسم منهم سيارات من نوع مرسيدس فارهة يتباهون بها أمام فقراء عشيرتهم، وحفل مجلس الشعب بشخصين من نفس العائلة.

وانتشرت الانتهازية في مؤسسة المشيخة، فكانت من أسباب تردي القيم النبيلة وانحطاطها إلى الدرك الذي وصلت إليه عند بعض الشيوخ وما زالت تفتك في حياتهم وتهدد وجودهم المستقبلي، وسارع غالبية هؤلاء الشيوخ إلى دمشق، استجابة لدعوة الأسد عبر أجهزته الأمنية، وأصغوا لتعليماته، ولما سألهم عن مطالبهم، أجابه الشيخ نوري النواف :

(الآن الوقت ليس للطلبات، إنما للفزعات)

والفزعة هنا مساندة الأسد في قمع الثورة السورية، فعمل بعضهم على تجميع أنصاره فيما عرف (بخيمة وطن)، فوجد معارضة من أبناء عشيرته واكتفى بتلك الخيمة وبعضهم ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث جمع حوله عددا من حثالة عشيرته من أصحاب السوابق الجنائية، والعاطلين عن العمل، ومعظم المجرمين الخطرين المحكوم عليهم بجرائم القتل والاتجار بالمخدرات والخطف أخرجهم النظام من السجون بعفو خاص، وشكل منهم عصابة مسلحة فأصبح هؤلاء الشيوخ في المنظور العشائري، شيوخ الحثالة، مما عمق شرخ الانقسام العشائري، بين شيوخ الحثالة، وبين أبناء العشيرة الثائرين، ومع تطور الثورة السورية، هرب هؤلاء الشيوخ المصنفين شبيحة إلى مناطق سيطرة نظام الأسد، للعمل هناك بصفة مخبرين على أبناء عشيرتهم، وراحوا يهتفون في شوارع المدن بزعامة شيخ الحثالة، (شبيحة للأبد كرمى لعيونك يا أسد)، ومن تبقى منهم في مناطقهم فقد سلحهم نظام الأسد، ليقمعوا أبناء عشيرتهم وليمنعوهم من المشاركة في الثورة، والأساس التكويني للشيوخ الشبيحة، مرده للطغمة العسكرية الحاكمة، بمظلتها السياسية القائمة على قانون الطوارىء المشهور، حيث تحول هؤلاء الشيوخ إلى مافيات تهريب، بالاشتراك مع ضباط الأسد الأمنيين، فقامت الأجهزة الأمنية بتوظيف شيوخ الحثالة في الأجهزة الأمنية، وبات لكل ضابط أمن شيخا شبيحا، يخدمه وينفذ أوامره، ويكلفه بمهام قمع المتظاهرين أو خطف شخصيات وطنية أو سرقة السيارات وغيرها من المهام واشتهر منهم (زينو بري)، رئيس الشبيحة في باب النيرب، والحارات الشعبية في حلب، يعاونه بعض شيوخ العشائر، ويموله رجال أعمال حلبيين، حيث كانوا يقومون بالتشبيح العلني في المساجد وجامعة حلب، ونقابتي المحامين والأطباء، والأحياء الثائرة، مستخدمين السكاكين والسيوف، والأسلحة، ويتقاضون أجرا يوميا بحسب المهام الموكلة إليهم.

وارتكب (زينو بري) جرائم وحشية قبل الثورة على طاولات القمار في الملاهي الليلية، و أسرف في قمع الحراك الثوري في حلب، إلى أن قتله الثوار وهو يقوم بواجبه التشبيحي، ومن مشاهير شبيحة العشائر- أعضاء مجلس الشعب -.

ومنهم (عقل الحمادين) من شيوخ بقارة حلب، ارتكب بحق أبناء عشيرته مجزرة قرية المالكية المشؤومة بالتعاون مع عصابة الأسد، والتي راح ضحيتها العشرات حرقا.

وبلغ أحدهم (أحمد المبارك) موقعا نافذا في نظام الأسد الأمني، وشارك في قمع المظاهرات السلمية في منطقة معرة النعمان، وتحولت قريته (أبو دالي) إلى قلعة عسكرية، ولا زال يدير شركة احتكارية كبرى للمحروقات، ويتقاضى أموالا طائلة من المواطنين لقاء مساعدتهم في العثور على أبنائهم المعتقلين، ويشاركه في الفساد ممن يحسبون على الثورة.

وبعضهم تماهى مع طائفية نظام الأسد فاعتنقوا المذهب الشيعي.كما قام نظام الأسد برشوتهم بمبالغ مالية تتراوح قيمتها بين (-150 250) ألف دولار للشيخ الواحد، ويقدر المبلغ بحسب حجم عشيرة الشيخ.

وفي الجزيرة السورية، استمال الأسد شيوخ العشائر، وبعض الشخصيات النافذة من الأكراد، واستخدم مكونات المجتمع في الجزيرة ضد بعضهم، العرب ضد الأكراد، والأكراد ضد الأشوريين والعرب.

وبلغ توظيف الأسد لشيوخ عشائر الجزيرة ذروته في قمعهم الحراك الكردي عام 2004م ، ونجح نظام الأسد مرة أخرى في توظيف أغلب شيوخ العشائر، وبعض قادة الأحزاب الكردية للوقوف ضد الحراك الثوري، ونتج عن ذلك، تشكيل الشيخ (حميدي الجربا) ميليشيا (جيش الكرامة) لذبح العرب الثائرين، ويسانده حزب (pyd)، الذي قام بتصفية عرقية للعرب في تلك المنطقة.

هذه العلاقة بين نظام الأسد، وشيوخ العشائر، والقائمة على الفساد والرشا، استطاعت تحييد عدد كبير من أبناء العشائر، بعد استعانة نظام الأسد بسلطة شيخ العشيرة، في قمع الثورة السورية، وظهر في المشهد العشائري زعامات لم تكن موجودة، استمدت شرعيتها من سلطة الأسد، وارتبطت بأجهزة السلطة الأمنية، ورهنت مصيرها بمصير الأسد حرصا منهم على منافع شخصية ولانعدام الثقافة والرؤية لدى هؤلاء المشايخ في خير الثورة على جميع السوريين فضلا عن ابناء عشائرهم.

اتفاق مبادئ قد حصل

"تجعلونه لكم أم عليكم ؟!"

مروان محمد

الآن هذا هو السؤال!

أن تستوعبوا الاتفاق، وتدورون زوايا نتائجه، أم تتركونه ينغرز في جهاتكم الأربع، يطعن فيها شمالا وجنوبا، شرقا وغربا، وأنتم عاجزون عن الرد، لا تملكون رؤية الدول، وفعل الدول؛ ولا تملكون عزيمة القادة، وحكمة القادة؟

بداية يجب معرفة بأن ما تم حتى الآن، ما كان له أن يرى النور، لو لم يكن قد تم انجاز أغلب، إن لم يكن جميع القضايا الرئيسية، الخاصة بالملف النووي الإيراني أساسا.

ومن يعتقد بأن قضايا السياسة الإقليمية، والسلوك الإيراني فيها ضمنا وأساسا، في المنطقة والعالم، لم يكن يُبحث في ثنايا بحث المشروع النووي، هو لا يدرك حجم التخوفات والأرق المزمن الذي شكله - ولا يزال - للولايات المتحدة وللغرب وللعالم عموما، هذا السلوك الإيراني العدواني والاستفزازي في منطقة متوترة ومشتعلة - بعضها على صفيح الانفجار- بحجم المنطقة العربية، تمور بالحرب والعنف المنفلت من أي منطق، يُحارب فيها الجميع ضد الجميع.

بالتالي يتوجب لجم هذه الاندفاعة الإيرانية الخطرة، بعد أن يُصبح الاتفاق قيد التنفيذ، دون أن يعني ذلك ضرب المصالح الإيرانية في المنطقة بعرض الحائط.

لكن يتوجب عقلنتها بنظر قيادة أوباما، الذي يرغب بمغادرة الرئاسة الأمريكية وقد حقق ما يطمح إليه المواطن الأمريكي في أبعاد الخطر النووي الإيراني كما يعتقد، وأيضا حض الناخب الأمريكي على الثقة بقيادة الديمقراطيين في سياستهم الخارجية، لجهة الاهتمام بالقضايا الداخلية أكثر، والتي تعنيه بشكل أكبر بكثير من أي قضية خارجية، خاصة وأن سياسة بوش الابن قد كلفته الكثير من المعاناة والضحايا والأعباء الضريبية، في أفغانستان والعراق، وهي لم تُمح من ذاكرته بعد.

نحن الآن في نيسان، وفي \30 \ حزيران يُتوقع أن يتم التوقيع على الاتفاق النهائي، وإسدال الستار على الأقل، للعشر سنوات القادمة، وربما الخمسة عشر القادمة، على «صداع عالمي «سببه الملف النووي الإيراني.

ومنذ ثلاثة أسابيع، بدأت عملية «عاصفة الحزم «بهدف إعادة الحكم الشرعي لعبد ربه هادي في اليمن، التي انتهكها الحوثيون باجتياحهم الأخير لمناطق واسعة من اليمن، ومؤسساته الحكومية. والموضوعين مترابطين، وإن لم يكونا كذلك في حسابات المملكة السعودية وحلفائها في العملية العسكرية، يجب ربطهما حالاً. وهذا ما يجب أن يكون عليه الحال عند ربط القضيتين.

في البدء يجب أن تتوفر القناعة والعزم معا لدى السعودية وحلفائها، من أجل حسم الوضع في اليمن قبل تاريخ التوقيع النهائي. وهو وارد في حال تسارعت وتيرة التدخل وشدته ونوعه. فالتدخل البري لا بد منه، والإقدام عليه سيغير في معادلة الصراع الإقليمية، وسيغير في قواعد الاشتباك في المنطقة، ويُعيد الاعتبار جديا، للأمن القومي العربي. وكلما تم الإسراع في ذلك يكون أفضل لتحقيق النتائج المرجوة منه.

عندما يحصل التوقيع في لوزان كما هو مخطط (يُرجح حصوله في موعده، مع ذلك قد لا يكون الموعد مقدساً لدى الغرب لأسباب مختلفة، أو لاعتبارات داخلية إيرانية، لكنه يجب أن يكون كذلك عند أصحاب «عاصفة الحزم) يجب أن يكون قد تم فرض «أمر واقع «جديد في اليمن. واقع أعاد الحكم الشرعي، وهزم حركة «أنصار اللّه «الحوثية، وتحركاتهم التوسعية (هنا هزيمة علي عبد اللّه صالح وجماعته، مسألة حيوية، بل في غاية الأهمية لنجاح هدف العملية العسكرية، والذي يُفترض أن يكون حلًا سياسيا).

مبدئيا، ننوه إلى أنه ليس بالضرورة أن يتم ذلك عبر فرضه بالقوة فقط (مع ضرورة أن يشعر الحوثيون بإمكانية الهزيمة عمليا) وإنما عبر إقناعهم أيضا وأساساً، بأنه لا بديل لهم عن الشراكة في البلد وفي الحكم، وإن الاعتماد على المساعدة من الخارج، وبالخصوص من الإيرانيين، ضد أبناء جلدتهم، خطأ تاريخي كبير، ولا يُعوّل عليه. كما أن حقوقهم في الشراكة يجب أن تكون محفوظة، وأن ايلاء منطقتهم «صعدة «بعض الاهتمام الخاص سيكون مساعدا على سرعة الانجاز، مع إيجاد وضع تنموي مستعجل لكل مناطق اليمن الفقيرة والمتخلفة.

عندما تتوفر القناعة لدى المملكة السعودية بأن الحل سياسي أساسا، وبأن الحوثيون ليسوا مجرد ذراع أو أداة للمشروع الإيراني، بل هم جزء أصيل من أبناء اليمن، ولهم حقوق ومطالب مشروعة يجب لحظها عند طرح الحل السياسي، سيسهل هذا من الاتفاق. فيما دروس الحروب الستة مع الحوثيين في عهد صالح، عليها أن ترسخ القناعة لدى كل الأطراف اليمنية بأن الحل هو إيجاد صيغة وطنية يمنية.

من هنا على الدور السعودي أن يتركز على المساعدة في خلق هكذا صيغة متوازنة، تؤمن فيها حالة استقرار يمنية داخلية طويلة نسبيا، ومن خلالها تؤمن حدودها لفترة لا بأس بها، بينما يكون الهدف بعيد المدى للملكة - ولكل من يقف وراءها - قد وجد طريقه للتحقق، عبر غلق أحد منافذ التمدد والتوسع للمشروع الإيراني. مما يوفر الشرط الملائم جداً للانتقال إلى ساحة عربية أخرى تعيد التوازن والاستقرار لها، في حال أرادت الانخراط المباشر في القضايا العربية المشتعلة والمأزومة جرّاء التدخل الإيراني العدواني.

(ترشح معلومات صحفية مؤخرا، بأن القوات المصرية تستعد للتدخل البري في اليمن، سيكون هذا عملاً خاطئا وخطيرا يعطي عكس النتائج المرجوة، في حال كان منفردا، وخارج التدخل الجماعي «العربي العربي «حصرا).

الأصنام والتماثيل والنصب التذكارية

عبد الرزاق كنجو

إنتشرت عبادة الأصنام بين عرب الجّاهلية انطلاقاً من الفراغ الرّوحي في تلك الأوقات, بعد أن كانوا يتأملون ويحتارون في تفسير مايحيط بيئتهم الصحراوية الشاسعة, فيراقبون حركات الكواكب في السماء وأشكال وتنوع المخلوقات والنباتات من حولهم.

يرصدون الشمس والقمر والنجوم كوسيلة للإضاءة والتدفئة, وكذلك يراقبون السحب الماطرة كمصدر لمياه الشرب ولسقاية أعشابهم الرعويّة كمواد أساسية لغذائهم ولغذاء حيواناتهم الأليفة معتمدين على صيد الفرائس وزراعة مايلتقطونه من حبوب وثمار محلية.

لقد كانوا يتطلعون لأبسط المتغيرات الجوية ويربطونها بتوسّلهم لغيمات متناثرة في السماء, لعلها تمطرهم بما يبل الرمق, وقد اقترن ذلك باعتقادهم بقدرة خفية تجلب لهم الحظ والخير العميم, فراحوا يربطون ذلك ويقرنونه (بحجارة ولقى من نوع فريد ونادر معتقدين بأنها تجلب لهم تبدّل الأحوال من سيء الى أفضل).

كما كانوا كلما وجدوا حجراً مميّزاً في لونه أو في شكله يحتفظون به, ويتباهون به بين أقرانهم ومجتمعاتهم, بل ويضعونه في مكان ظاهر ــ عندما يقومون ببناء بيوتهم البسيطة ـ في واجهة البناء أو فوق باب الدخول, كوسيلة تزيينية.

وأصبحت فيما بعد رمزاً لمباركة البيت واستدرار الخير, وكحِرزٍ للساكنين فيه وللزوار والضيوف.

انتشرت المزارات و(الكعبات) في جزيرة العرب لدى معظم القبائل, وأصبحت لكل قبيلة كعبتها كمكان مميّز لها عن سواها, ويقوم على خدمتها وحمايتها سِدنّة مخصوصون لرعايتها كرمزٍ أو كمضافةٍ لهم.

ومثل ذلك كانت هنالك في بلاد فارس « بيوت للنار» لذات المكانة والهدف.

تروي كتب التاريخ أنه كانت هناك أكثر من 20 كعبة منتشرة في أصقاع الجزيرة العربية، وكانوا يحجّون اليها ويعتمرون, ويلبّون بنفس التلبية الاسلامية فيما بعد ويطوفون ويتمسحّون بالحجر الأسود أو ماشابهه, للمباركة أو لطلب الاستشفاء من مرض أو لإبعاد عين الحسّاد ومسّ الجّان عنهم وعن ذريّاتهم.

كل ذلك كان قبل الدعوة والرسالة الاسلامية التي حررت العقول وأنارت الطريق لوحدانية اللّه الخالق لكل الأشياء.

قال تعالى :

}وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً {

صدق اللّه العظيم . الآية 23 من سورة نوح. وتفسيرها في صحيح البخاري كما جاء عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال :

«هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح, فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمّوها بأسمائهم , ففعلوا .. فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك «.

(فهذا هو سبب الشرك في الناس وهذه بدايته فلم تكن تلك التماثيل تعبد أبداً بل كانت للذكرى والتذكّر, لكن لمّا تُركت, جاء في المستقبل من يعبدها ـ عن جهل ـ).

مع مرور الزمن وتطور الحضارات وكثرة الحروب, بدأ القادة يخلّدون فترة حكمهم وانتصاراتهم برموز معمارية سامقة تبقى من بعدهم للأجيال القادمة كرمز فخر واعتزاز بفترة توليهم وقيادتهم لشعوبهم, كما في أهرامات مصرأو بمدينة البتراء الاردنية.. وكذلك في حاضرة تدمر بالبادية السورية..وغيرها الكثير.

وهذا ما أُطلق عليه في علم الآثار, كنصبٍ تذكاريةٍ لحضاراتٍ قديمةٍ بقيت خالدة الى وقتنا الراهن, وكدليل أبدي على عظمة تلك المراحل وحضاراتها الباهرة.

أما في العصور الحديثة فلقد أراد بعض القادة والحكام تقليد التراث القديم ــ حسب الإمكان ـ كأثرٍ وتذكارٍ لفترة حكمهم وتخليداً «لإنجازاتهم» فراحوا يوصون بإقامة التماثيل والنصب التذكارية لهم ولمنجزاتهم الحضارية.

منطلقين من رغبة الإنسان في التذوّق والإنبهار من الأشكال الجميلة التي يصيغها ويصنعها ـ بالعادة ـ أناس موهوبون يتمتعون بالذوق والإحساس الفني والمعماري, وهذا ما أصبحنا نشاهده في الساحات والحدائق وأمام المنشئات الاقتصادية الكبرى.

وقد تابع هذه العادات ونَشَرَها القادة الاوربيون في عصور النهضة أكثر من مناطقنا التي تأثرت بتحريم الإسلام لتشخيص التماثيل البشرية مهما كان نوعها منطلقة من تقديس الفرد وتأليهه وبغضّ النظر عن صفته ومقدرته وإنجازاته العظيمة.

ولما كان الانسان بفطرته يبحث عن الجّمال ويسعى لنشره أمام الذائقة والمشاهدين من الجمهور فقد لجأ الفنانون المبدعون الى إقامة نُصُب تزيينيّةٍ رامزةٍ وهادفةٍ الى نفس الأهداف التي كانت تقام من أجلها التماثيل التشخيصية, ولكن بشكل ابداعي متطور وبطرق تحويرية تجعل المتلقّي يستمتع بالمشهد ويضيف عليه إسقاطات ومعانٍ إضافيّةٍ, تنبع وتتمازج بين فكره هو من جهةٍ, وبين ماقد أشاده الفنان المصمّم والمنفذ للعمل الفنّي.

إنّ بحثي المختصر هذا.. إنّما أقدّمه كتوضيحٍ مبسّط , للمقارنةِ ولشرح الفروق بين الأصنام والتماثيل والنّصبَ التّذكارية. خاصة بعدما تعرّضت تماثيل بعض رموز أمتنا وبلادنا لإعتداءات جاهلة بمعناها والهدف من إقامتها.

علماً بأنها لم تكن للعبادة أو التقديس في أي وقت مضى.. ولنا في تماثيل شاعر العرب أبي العلاء المعري وبطل الاستقلال السوري ابراهيم هنانو أكبر مثال.

ادفنوني واقفاً

أسعد شلاش

بالتأكيد أنا الطارئ في هذا المكان فكلّ مكوّناته لا تمتّ بصلة لما هو كائن هنالك حيث روحي في مكاني الأوّل.

هذه الأبنية الشاهقة بخوارجها ودواخلها وحتى بطرازها المعماريّ هي أكثر فخامة وأناقة لكنّها بلا روح وأحياناً أشعر أنها عدائيّة وليست بأليفة ولا ودودة، وهذه الأشجار التي لا أعرف اسمها ولا تعني في تاريخي شيئاً، ليس لديّ أيّة ذكريات معها، حتّى الطيور هنا غريبة عنّي وأنا غريب عنها. الناس هنا لا يشبهون ناسي هناك، أرى الفرح في كلّ تفاصيلهم في مشيتهم بقامة منتصبة في ألوان ثيابهم في وميض عيونهم لكنّهم لا يعنون لي شيئاً، ومؤكّد أنّني لا أعني لهم شيئاً، لا تربطني بهم أيّ مشاعر مهما كان نوعها، لم تكن مرابع طفولتي ولا تكوّنت أحلام يقظتي معهم.

هنا لم أركض مع الصبية وأتعثّر، ومن ثمّ أبكي حتّى ولو بعضاً من مشاعر الكراهية لا أكنّها لأحد.

أنا هنا كائن متشيّئ، أتساوى مع الأشياء، بالكاد أستطيع أن أعرف في أيّ مكان أنا، أو أن أسأل عن مكان ما، وحتّى عن أيّ شيء، فلغة القوم ليست لغتي، وما تجود به الطبيعة هنا يختلف تماماً عنه في مكاني هناك.

يبدو لي منظر ما يؤكل هنا جميل مغلّف باعتناء لكنّني عندما أتذوّقه أزفر آهة وحسرة، فهو لا يمتّ بأيّة صلة لما كنت أحبّ، وأتلذّذ بمذاقه هناك، نعم هناك في مكاني الأوّل حيث الألفة وكلّ المشاعر بكلّ ألوانها تنتشر في كلّ جزيئات الهدوء من حولي أستنشقها أزفرها وأحياناً تثقل صدري لا رائحة تراب هنا بعد المطر، بل بالأصل لا تراب أحمر جميل كالذي هناك، لا طين يعلق بحذائي ويربكني في مشيتي، ولا أمّ تأمرني أن أخلع حذائي المتّسخ وأحمله بيدي كي لا أوسّخ الأرض التي شطفتها للتوّ بماء السماء.

كلّ هذا الصخب الدائر هنا وأضواؤه الفاقعة من كلّ الألوان لا تعني لي الكثير، فأنا منذ طفولتي مولع بمراقبة النجوم والقمر في الليالي التي كنت أقضيها على السطح هناك حيث أتسلّى بعد النجوم غير مبالٍ في الثآليل التي ستظهر في يديّ، في اليوم التالي عقاب على فعلتي، كم كنت سعيداً وأنا أعاند الوقت، أعاند الطبيعة، أشدّ اللحاف على وجهي لأحميه من حبّات المطر متأمّلاً أن يهدأ لأعاود غفوتي من جديد، ولكن غالباً ما كانت الطبيعة تغلبني وتزيد من هطلها لاحتضن أمتعتي كلّها، وبصعوبة أهبط بها الدرج وأعرف أنّه عندما تراني أمّي ستقول (شيلة العاجز قنطار)، آهٍ لو ترين عجزيَ هنا يا أمّي، حتّى الموسيقى هنا ليست هي التي ألفتها أذني هناك، لا عتابا هنا، لا نايل ولا موليّة، ولم يبقَ لي من خيار إلّا أن أعزف بعضاً من الارتجال ويرافقني على ايقاعاته الإفريقيّة المتنوّعة، هذا الذي استطعت بعد جهد جهيد أن أفهم أنّه يريد أن أذهب معه إلى بيته كانت الموسيقى لغتنا الوحيدة استمتعنا بها ولو إلى حين، بعدها تناول ما يشبه الطعام كنت أمضغه بصعوبة وأتذكّر ما كنتِ تقولينه وأنت تعدّين طعاماً خاصّاً لوالدي (لكليب ما بتاكلو)، ثمّ أسمعني من آلة التسجيل بعضاً من موسيقى عصر الباروك، كان ذكيّاً في ملاحظة مدى انسجامي مع الموسيقى، أسمعني موزارت بيتهوفن لاحظ أنّني غير منسجم تماماً مع ما أسمع لأنّني لم أكن معه هنا، بل كان جزئي الأكبر هناك.

وأخيراً صدحت أم كلثوم برائعتها الأكثر أسىً وحزناً (حطيت على القلب ايدي وأنا بودع وحيدي) وعندما ضممت أصابعي ورفعت الابهام إعجاباً منّي أن توجد أغنية لأمّ كلثوم مطربة شرقنا عند من لا يفهم لغتها، ظنّ أنّني استسغتها أكثر من كلّ ما أسمعني إيّاه من موسيقى.

استطعت أن أفهم ما عناه بكلماته والأكثر بالإشارة (عرب سمعو أغاني وابكو) أومأت لها جهة شرق المتوسط، وقلت له: «اذهب إلى هنالك وشاهد ما يجري وستؤمن أنّه لا يمكن العيش دون بكاء»، وبالتأكيد لم يفهم ما قلته له وما عنيت.

لا أحد يفهمني هنا فالمتعايشون في مكان واحد يتفاهمون حتّى بدون كلام يعرفون إيماءاتهم، لغة عيونهم، كنت أخمّن أنّني طارئ جديد على هذا المكان وقد أستطيع بعد مرور زمن ما، أن أعتاد، أن آلف إن لم يكن كلّ، فبعض ممكناته لكن الألم كان يكبر كلّما التقيت هنا بمن فرّ من البلد منذ عشرات السنين نتيجة معارضته سلطة الاستبداد، ومع أنّ مصالحه الماديّة هنا على ما يرام، لكنّها لم تعنِ له شيء، ولم يهدأ له بال، وجاب أكثر دول العالم.

يلتقي بالسوريّين يحدّثهم عن الوطن يشتمّ فيهم رائحته، يسألهم عن البلدات عن المدن والحارات وشوارعها عن الزوايا وتفاصيلها الدقيقة، عن أحوال البشر هناك.

ذات الأزمة تتكرّر بعد كلّ حديث معه، حلمه بالرجوع إلى مكانه الأوّل يومئ بيده لجهة الوطن يزفر يتأوّه، أتلمّس بين عباراته حنيناً موجعاً لأحلام يقظته، هنالك في الوطن، في بيته، أشتمّ رائحة الألم في كلّ كلمة وحرف ونقطة وفاصلة، ويتابع، أعرف أنّني لن أستطيع أن أعيش هناك، لكن كنت أتمنّى فقط أن أزور مكانيَ الأوّل ولو لعدّة أيّام، استنشق هواءه، أشرب ماءه، أعود إلى طفولتي وصبايَ.

يتنهّد ويتابع، أنت تعرف أنّه في هذه البلاد يُسمح أن تكتب في وصيّتك ما تريد، حتّى الوصايا في بلادنا لا يُسمح لنا أن نكتبها كما نشاء إلّا بحدود ضيّقة، وأنّ صديقي سيكتب في وصيّته أن احرقوا رفاتي وضعوا الرماد في زجاجة من البلاستيك وألقوها في المحيط فعسى أن يتلمّس البحر حنيني وتحمل أمواجه رفاتي إلى هناك، إلى شاطئ الوطن، وأنت.. صمت.. أطرق.. تنهّد.. حدّق بوجهي بنبرة يشوبها حزن معتّق... عندما انطلقت الثورة شعرت أنّني جبال من الفرح، كنت أتابع كلّ مجرياتها، كلّ حيثياتها وتفاصيلها الصغيرة، لقد جفانيَ النوم ولم أعد أغفو إلّا ساعات قليلة بعد أن يهدّني التعب، وبدأت تعود إليّ أحلاماً عافتني منذ سنين، ولا أخفيك أنّني حلمت عدّة مرّات بأنّني طفل يلهو في بيته في شوارع بلدته، حتّى أنّني رأيت في حلمي صورة والديّ الذين توفّوا منذ سنين.

بدّدت كلّ ما جمعته من ثروة في سنين غربتي، فقد كنت أحلم أن أعود إلى الوطن خالي الوفاض وأعرف أنّ بيتي قد أتت عليه براميل الحقد، لكنّ حجارته التي تبعثرت، أسقفه المنهارة تعني لي الكثير، لكنّني الآن وبعد أن وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه لم يعد لي أيّ أمل بالعودة، وكتبت في وصيّتي: أن ادفنوني واقفاً ووجّهوا وجهي جهة الوطن.

رسالة فرح غير منتهية

بشار فستق

بُعيد هزيمة حزيران 1967 بدأت مرحلة جديدة في تاريخ المسرح السوريّ، فقد أيقظت «النكسة «الأسئلة الأعمق، وصار المسرح منبراً حيّاً صادقاً لها، وكان أن تصدّى كتّاب من أمثال سعد اللّه ونّوس ومحمّد الماغوط ووليد إخلاصي ومصطفى الحلّاج وفرحان بلبل وغيرهم لتلك الأسئلة، ولكلّ طريقته، وكان من الطبيعيّ أن تنداح الدوائر الجديدة في المحافظات، فتشكّلت فرقة المسرح العمّاليّ بحمص في عام 1973، والتي يرجع الفضل في تأسيسها للكاتب والمخرج فرحان بلبل، ولاستمرار مجموعة من الممثّلين أبرزهم: أحمد منصور وعمر قندقجي وبسّام شاويش وفاطمة ضميراوي، وغيرهم كثيرون ممّن أعطوا وأبدعوا لسنوات طويلة باسم هذه الفرقة.

كان العمل الأوّل للفرقة مسرحيّة «مأساة الحلّاج «من إخراج فرحان بلبل وتأليف صلاح عبد الصبور على مسرح سينما الزهراء بحمص، ثمّ قدمت الفرقة (مونودراما) للأطفال بعنوان «بهزاد الكسول «من تأليف ألفرد فرج وإخراج فرحان بلبل وتمثيل نجاح سفكوني.

لكنّ رسالة الفرقة برزت في عرض مسرحيّة «الممثّلون يتراشقون الحجارة «من تأليف وإخراج فرحان بلبل، والتي تشرّح مسألة الفساد فيما عُرف وقتها بأسلوب المسرح «الملحميّ «المنسوب إلى رجل المسرح الألمانيّ برتولد بريشت، وقد شارك العرض عام 1975 في مهرجان «مسرح دمشق للهواة «ثمّ تتالت العروض التي تُظهر موقف الفرقة وهويّتها من القضايا الوطنيّة والاجتماعيّة كفرقة عمّاليّة.

بعد عام، أعدّ «بلبل «وأخرج نصّ مسرحيّة «جوهر القضية «للكاتب التركيّ ناظم حكمت، ويتصدّى العمل لقضيّة البيروقراطيّة في الحكم وأثرها على الوطن، كان عرضاً جريئاً. قامت الفرقة بالتجوال على مناطق آبار النفط لتقدّمه مباشرة للعمّال هناك، وكذلك لعمّال الفوسفات. كما واظبت الفرقة على تقديم عروضها ضمن المهرجانات المسرحيّة العمّاليّة وغيرها، فقدّمت مسرحيتيّ «العشّاق لا يفشلون «و «لا تنظر من ثقب الباب «من تأليف وإخراج «بلبل «الذي رفد الفرقة أيضاً بعناصر شابّة كابنته عفراء.

في نهاية السبعينيّات، اتّسعت جماهيريّة الفرقة بالتفافتها إلى شريحة الأطفال وتقديم مسرح الطفل، فكتب «بلبل «النصوص وأتاح لغيره إخراجها، وقدّمت الفرقة مسرحيّة «القرى تصعد إلى القمر «التي نالت حضوراً جماهيريّاً لافتاً، ثمّ مسرحيّة «يا حاضر يا زمن «بالإضافة إلى استمرار الفرقة بتقديم أعمالها للكبار تأليفاً أو اقتباساً، فأخذ «بلبل «عن ناظم حكمت مسرحيّة «الجمجمة «وأخرجها عام 1982، هذه المسرحيّة التي تفضح الوجه الحقيقيّ للرأسماليّة المتوحّشة.

كثُرت الأعمال التي عرضتها الفرقة في الثمانينيّات، فمن تأليف وإخراج «بلبل «مسرحيّة «لا ترهب حدّ السيف «كما اقتبس «تأخّرت يا صديقي «و «طاقيّة الإخفاء». وكانت الفرقة تتجوّل في مختلف المحافظات، وتلتقي جمهورها على مختلف المسارح وتشترك في أغلب المهرجانات. وأصبح لها مريدوها الكثر في حمص وفي عموم مسارح سورية.

لكنّ الفورة الإنتاجيّة التلفزيونيّة لما سمّي بالدراما التلفزيونيّة أخذت تغيّر المناخ المسرحيّ، فتلتقط الممثّلين وتلوي الذوق العام وتوجّهه حسب «رؤية «وتوجيهات قيادة جديدة للمجتمع تشكّلت من طبقة مزيج متحالف بين تجّار كلّ شيء وسلطة أمنيّة تلبس زيّ الإعلام وتستعمل الثقافة، فتراجع المسرح الذي نهض في الستّينيّات، وتحوّل إلى مجموعة من المهرجانات للشبيبة والطلائع، تقام لنهب الأموال خلال بضعة أيّام ثمّ يُكتم صوت المسرح لباقي العام.

كان من المؤلم والطبيعيّ أن تخبو أضواء فرقة المسرح العمّالي في حمص، فقد غادر فنّانوه الخشبة الأنبل، وحلّت ببغاوات البعث محلّ الفنّ.

مع بداية الألفيّة الثانية، ابتعد «بلبل «عن الفرقة، واهتمّ أكثر بالتأليف والكتابة عموماً، كالنقد المسرحيّ وجوانب أخرى من الفنون المسرحيّة كالإلقاء، ودرّس هذه المادّة في المعهد العالي الفنون المسرحيّة في دمشق.

اليوم، يحمل الفنّان «نوّار بلبل «همّه المسرحيّ ويتجوّل ناثراً حبّات الفرح للأطفال السوريّين على أرض مخيم الزعتريّ، ويقدّم لشكسبير فيقول: «المسرح يجب أن يكون أداة قويّة من أجل الحبّ والسلم والسلام والتعايش الحرّ». هذا القول ليس مستغرباً من «نوّار «فهو أحد أبناء فرقة المسرح العمّالي بحمص.

في اليوم العالمي للمسرح نوار بلبل مع أطفال الزعتري

من دفاتر عاشقٍ في حرب

ميثم راضي

آه متى تأتي تلك الحرب التي نتبادل
فيها جثث آبائنا كفانيلات للذكرى
معلنين أن اليتم هو منتخبنا الوطني
الوحيد

مقابل كل امرأة أحبّها وذهبت بعيداً:
أنجبَ ولداً لينساها ...
حتى صار عائلة كبيرة من النسيان
عرفنا ذلك عندما أخذت الحرب أولاده
وظل ينادي عليهم بأسماء الحبيبات

الوقت متأخر لكتابة قصيدة عن
الحرب
لا يوجد الآن في الخارج إلا الحرس
الذين يفكرون بكِ
عندما مررتِ اليوم في نقاط
التفتيش

آه
كم أتمنى أن أقرأ قصيدة عن الانسان
لشاعر بنغالي يعمل في الخليج
تلك القصيدة التي يدسّها مع النقود
ثم
يبعثها لزوجته
لتشتري أحذية للأطفال

أنا من أولئك الناس الذين تنام الحياة
معهم دون رأسها ...
وعندما تغادرهم في الصباح
يجدون شعرة طويلة في حضنهم
يربطونها حول خصورهم
ويثبتون طرفها بساق أمهاتهم
ثم يتدلون نحو الهاوية

وفي قلبهم يطفو مشط من خشب ..
كل ليلة تسقط زنودنا في البيوت
من
التعب ونحن نسرح شعرها
بينما رأسها يتدحرج في الخارج

كذا دربت عضلة الغياب ..
أرمي اسمكِ بعيداً فتركض خلفه
الموسيقى لتجلبه لي
وكم كررت ذلك
لكنني للآن لا أستطيع أن أرمي اسمك
أبعد من أغنية

كلما فتحتَ دكان المغفرة: رأيتَ
نفسك
تقف
في آخر الطابور الطويل ...

أمسك يدكِ وننزل إلى داخلي ...
هناك حيث أقدمكِ للوحش: وجبة
مسمومة
آكل منها أنا أيضاً .. حتى لا يشك

«دبدوب» يتدلى من مرآة السيارة
التي
ستنفجر ...
يتأرجح مبتسماً حتى اللحظة الأخيرة
كأنه
يحاول
أقناعهم بتأجيل هذا الخراب ...
يا للجمادات النبيلة

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر